

## ابن حزم.. الفقيه المتعصب للحق



خشي الأمراء الثورة ضدهم فصايبوا بعض أملاكه وأراضيه، فأضطر للرحيل إلى جزيرة أندلسية بالقرب من المغرب، التقى فيها بالفقيه الأندلسي المهاجرين وعلماء ومفكرين

السياسي والمغامرات العسكرية. كان ابن حزم في الخامسة عشرة حين سقط الخليفة هشام المؤيد وعزل أبوه من الوزارة وتمت مصادرة قصره وأمواله وتبقى للأسرة منازل قديمة انتقلت إليها ودور متفرقة في أرجاء الأندلس ومات أبوه بعد أربع سنوات وقد علمه كي يصيح وزيراً مثله.

ولد أبو محمد علي بن حزم الأندلسي في قصر بالأندلس عام 384 هـ وعاش ومات فيها، كان أبوه وزيراً للخليفة هشام المؤيد آخر خلفاء الأمويين في الأندلس، شهد تزوج أجدل بلاد المسلمين، وأصبحت قرطبة عاصمة الدولة دويلة صغيرة، وانصرف أهلها عن اقتناء الكتب إلى حياة الجوار، وتدنى قدر الكتاب والشعراء والمفكرين والإبداع المهرة وأهل الفنون وعلا قدر من دولتهم.

في هذا الجو المضطرب عاش ابن حزم 72 عاماً اشتغل خلالها بالسياسة والأدب والفقه والشعر ودرس الفلسفة والمنطق وعلوم الاجتماع والفلك والرياضة وعلم النفس، وصوّر مجتمعه ورسم أعماقه ومفاسده ومظالمه، وافتعل بشدة في رفضه لهذا المجتمع.

ترك أكثر من 400 مؤلف بين كتب طوال ورسائل قصيرة، ومنها «المحلى بالأثران شرح المجلي بالإختصار»، و«الإحكام في أصول الأحكام»، ورسالة في الغناء الملهي أرباح هو أم محظور، ولم يكتف بالكتابة وخاض الصراع



وفقهاء من المغرب. بدأ الذين ناظرهم في مهجره الجديد يضيعون به، فقد كان أسلوبه في الجدل يوغر الصدور، ووصفه بعض أصدقائه «أوتي العلم، ولكنه لم يؤت سياسة العلم»، وقاده حماسه للمنهج الظاهري ورفضه للقياس وللإحتجاج بالرأي إلى الوقوع في التناقض. طلب منه صديق أن يكف عن الكتابة في الفقه حتى تهدأ الثورة ضده في الأندلس واقترح عليه أن يكتب عن الحب، فكتب ابن حزم رسالة عن أحوال المحبين وعلامات الحب سماها «طوق الحمامة في الألفة والألاف»، وبسببها اتهمه الفقهاء بأنه يحرض على الفجور.

موقف الامام

ابتعد عن الكتابة عن الحب، وكتب عن السياسة والتاريخ، وتناول موقف الامام علي ومعاوية وكان له موقف مخالف للائمة ولم يقبل آراءه أحد من السنة أو الشيعة ونسأروا جميعاً عليه، فدعاه صديقه أمير «مايوركا» للاقامة عنده واشترط عليه ألا يشتغل بالسياسة.

تعرض ابن حزم لمكائد المنتفعين من مناصبهم، واستطاعوا أن يؤلبوا عليه المعتضد بن عباد أمير أشبيلية، فاضطر قراراً بهدم دوره ومصادرة أمواله وحررق كتبه، وفرض عليه ألا يغادر البلدة ولا يفتي، وتوعد من يدخل إليه، وتوفي في الامام سنة 1064 م.

## ابن خلدون.. مؤسس علم الاجتماع

ابن خلدون، شاهد على عظمة الفكر الإسلامي المتميز بالبدقة والجدية العلمية، يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث، وأباً للتاريخ والاقتصاد، هو عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري إلى تونس التي ولد بها عام 1332م. أجاد ابن خلدون أصوله التي حضرموت وذكر في موسعته كتاب العبر المعروفة باسم «تاريخ ابن خلدون» أنه من سلالة الصحابي وائل بن حجر.

الظاهر برفوق رحل بعد تخرجه في جامعة الزيتونة إلى مختلف مدن شمال أفريقيا إلى بسكرة وغرناطة وبيجاية وتلمسان، كما توجه إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برفوق، وولي فيها قضاء المالكية، وظل بها 25 عاماً وتوفي عام 1406 عن 76 عاماً ودفن بالقاهرة. أسرت ابن خلدون أسرة علم وأدب، أهل جاه وثقافة، شغلوا في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة، ورحل ابن خلدون إلى مدينة بسكرة وتزوج هناك، ثم توجه عام 1356م إلى فاس وضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي وولى الكتابة مؤرخاً لعهد، ثم رحل عام 1363م إلى غرناطة، ثم إلى أشبيلية ليعود بعد ذلك لبلاد المغرب، وشرع في تأليف كتاب «العبر» وأكمل كتابته بتونس ثم رفع نسخة منه لسلطان تونس.

لم يكن ابن خلدون – وطوال 50 عاماً هي حياته العملية – مراقباً للأحداث والوقائع فحسب، بل ساهم في صنعها خلال تحركاته من الأندلس لبلاد الشام، وتجمعت في شخصيته عناصر جعلت منه مؤرخاً حقيقياً. أسس علم الاجتماع وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقاده المنهج التاريخي العلمي الذي ابتاعه إلى التوصل إلى هذا العلم، الذي يركز على أن الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها، كما توصل إلى نظريات مهمة حول قوانين العمران، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها، وسبقت نظرياته بعدة قرون عدداً من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كوت.

وتوصل ابن خلدون إلى دراسة مقولات اقتصادية عدة تعتبر حجر الزاوية في علم الاقتصاد الحديث، مثل دراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقالها من البداوة إلى الحضارة، أي من الزراعة إلى الصناعة والتجارة. ولابن خلدون أسهامات في التاريخ والحساب والمنطق، ولديه عدد من المؤلفات، ويعد كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» من أشهر كتبه، ويقع في سبعة مجلدات أولها المقدمة المشهورة ب«مقدمة ابن خلدون»، وهي عبارة عن مدخل موسع وفيها يوصل لأرائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر.

## حبيب بن مسلمة.. قائد عسكري محنك ومفاوض ماهر

نشأ منذ صغر سنه على الحرب، ذهب في خلافة أبي بكر الصديق إلى الشام للجهاد، فكان على «كتيبة» في اليرموك، ففشا قائداً محنكاً من أعظم قادة الفتح، لاسيما في الجزيرة وأرمينية والقواقل. دخل حبيب بن مسلمة دمشق مع أبي عبيدة بن الجراح وشارك في فتح قنسين وحلب، ثم وجهه إلى أنطاكية مع عياض بن غنم ففتحها على الصلح الأول، وكان أهلها قد نقضوا شروط صلحهم، استولى حبيب على قالقليا، وجرت بينه وبين الروم البيزنطيين معارك عديدة على أرض أرمينيا، انتهت بسيطرة العرب على أرمينيا البيزنطية، ثم تابع زحفه.

أعوان المسلمين كان حبيب بن مسلمة مع أبي عبيدة بن الجراح، في حروبه في شمال سورية، ولما فتح أبو عبيدة أنطاكية الفتح الثاني، ولي عليها حبيب بن مسلمة فتولاها، وقاد الجند بنفسه، فقصد جبل اللكام، وكان فيه قوم أشداء يسمون الجراجم، فلم يقاتلوه، وصاحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين، وأن لا يؤخروا بالجزية.

وفي عهد خلافة عثمان بن عفان حدث ترمد من جانب أهل أرمينيا، فأرسل إليهم القائد حبيب بن مسلمة لفتح البلد، وذلك عام 31 هـ، في جيش مكون من ستة آلاف من أهل الشام والجزيرة، فوصل إلى مدينة «قالقليا» في أقصى شمال أرمينيا، فجمع ضده جيش من الروم والخزر بلغ تعداده 80 ألف جندي وفارس، وقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً في القتال، واستطاع حبيب بحكمته القتالية في إدارة المعركة أن ينصر انتصاراً ساحقاً.

أدرك حبيب بخبرته بعد هزيمة الروم والخزر في تلك المعركة، أن الأمر لن يستتب للمسلمين في أرمينيا إلا بمحاولة موازنة القوى وتوطئ عدد كبير من المسلمين بها في مقابل أعداد الروم والخزر، فأرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان أن يبعث إليه جماعة من أهل الشام وجزيرة الفرات للجهاد وقاتل الروم، فبعث إليه معاوية بن أبي سفيان بألفي رجل أسكنهم حبيب بلدة قالقلية وجعلهم مرابطين بها، ثم واصل فتوحه ببلدان أرمينيا ففتح مدينة شمشاط وصالح أهلها وكتب لهم كتاباً يؤمنهم فيه على أموالهم وأولادهم مقابل دفع الجزية.

أسوار المدينة وبعد فتح شمشاط توجه الجيش الإسلامي إلى بحيرة أرچيش «وان»، وأتاه بطريق بلدة «خاط»، ومعها كتاب الأمان الذي أعطاه الصحابي «عياض» رضي الله عنه للمدينة في سنة 20هـ، فقبله حبيب وأقره، ثم وجه إلى قرى «أرجيش»، و«باجنيس»، من قادة جيشه من عليهم وجبى له جزية رؤوس أهلها، وواصل الجيش الإسلامي تقدمه إلى «ديبل»، فتحصن أهلها ورموه بالسهام، فوضع على أسوار المدينة منجنيقاً وظل يرميهم حتى أيقن أهلها أنه لا قدرة لهم، فطلبوا الصلح، وصل المسلمون مدينة «تقليس» ومنطقة «أران»، فصالحهم على الجزية، وكتب لهم كتاباً مثل كتاب ديبل، وبذلك قام حبيب بن مسلمة بفتح كامل بلاد أرمينيا في فترة وجيزة، ونتيجة لمعادات الصلح اعتنق كثير من الأرمن الإسلام حيث شهدت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه تثبيت الإسلام بأرمينيا.

تخصص في علم الحديث النبوي، يذكر السيوطي أن ابن حجر لازم شيخه الحافظ أبى الفضل العراقي عشر سنوات، وحين بلغ من العمر 25 سنة جمع علوم القرآن والتفسير والفقه واللغة والأدب والتاريخ والحديث والنحو. أولى رحلاته لطلب العلم إلى قوص بصعيد مصر في العشرين من عمره، ثم رحل إلى الإسكندرية، والتقى فيها ابن الخراط، وابن شافع الأزدي، وابن الحسن التونسي، والشمس الجزري، وأورد ما لقيه وما سمعه في كتاب «الدرر المضيئة من فوائد اسكندرية»، رحل إلى بلاد اليمن لملاقاة علمائها، ومنهم شيخ اللغويين الفيروزي أباضي، وكانت له رحلة إلى الحجاز، ثم إلى بلاد الشام في سنة 802هـ.

أما مؤلفاته فكتبت منها: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، خمسة عشر مجلداً، ألفه في عشرين سنة، وتأتي أهميته كونه شرحاً لأصح ما ورد عن الرسول من حديث، فهو يعد ديوان السنة النبوية، لما يتضمنه من فقه الإسلاميه. وهي عبارة عن مدخل موسع وفيها يوصل توفي الحافظ ابن حجر العسقلاني سنة 852هـ.



في السابعة عشرة من عمره، قرأ القرآن على الشهاب الخيوطي، وسع «صحيح البخاري»، واهتم بالأدب والتاريخ، وانتقل إلى وصاية شمس الدين بن القطان المصري فحضر دروسه في الفقه العربية والحساب، وفي سنة 793هـ درس فنون الأدب، وكان يسمع الشعر ويعرف من أين أخذ ناطمه، ونظم الشعر والمدائح النبوية.

## ابن قيم الجوزية.. أستاذ العلماء

ابن قيم الجوزية، عالم وفقهيه وناقد، ووصفه صديقه ابن كثير بأنه حسن القراءة والخلق، كثير التوهد، لا يحسد، ولا يؤذي، ولا يحقد، ولا يستغيب أحداً. والسمة البارزة فيه التواضع مع علمه الغزير وحجته القوية، ويرى نفسه مقصراً، وأن علمه سيكون حجة عليه أن لم يتداركه الله برحمته. هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حزين، الزراعي الدمشقي، يكنى أبو عبدالله، لقيه شمس الدين، ولد في العام 691 هـ، وكان نشأته في بيت علم وتربيته على حب العلم والعلماء، أثره في توجيه حياته لطلب العلم. والده أبو بكر كان قِيماً على مدرسة الجوزية في دمشق، واشتهر والده بـ«قيم الجوزية»، ومن هنا جاءت شهرة الامام بابن قيم الجوزية.

تتلمذ الامام على الكثيرين من أهل العلم فتأثر بهم ونهل من شيوخه العلوم الشرعية من تفسير، وحديث، وفقه، أصول، وتجويد، وكان أقرب شيوخه لنفسه هو تقي الدين أحمد بن تيمية، فتأثر به، واقتنع به ودعا إليه وجادل وحامى عنه، وأيد آراءه في الطلاق، وجمع الكثير من أصوله، وتلقى عن ابن تيمية بعد أن عاد الشيخ من مصر سنة 712 هـ، وفيما بعد كان ابن القيم القائم على تركة

